عطا أمين.. بين الريادة الادبية وزواجه الملكي

رفعت عبد الرزاق محمد
باحث في التراث

نشرت جريدة المدى الزاهرة ليوم ٣٠ حزيران ٢٠٠٧ مقالاً للاستاذ باسم عبد الحميد حمودي عن فقيد الادب العراقي الدكتور عبد الاله احمد وكتابه الفذ عن "نشأة القصة وتطورها في العراق" وقد كشف هذا الكتاب صفحات مطوية من تاريخنا الادبي ، بقيت متفرقة في بطون الصحف والمجلات حتى يومنا ولعل هذا البحث الذي قدمه الى جامعة القاهرة عام ١٩٦١ باشراف الدكتورة سهير القلماوي من اهم الدراسات الرصينة القليلة التي قدمت مستجلية تاريخنا الفكري برؤية تاريخية وتحليلية فائقة.
وقد ذكر الاستاذ حمودي في مقاله جهد الفقيد في الحديث عن احد اعلام اليقظة الادبية في العراق وهو المرحوم عطا امين ، الشخصية الرائدة في الادب العراقي الحديث وقد وددت التعريف بهذا الكاتب وسيرته التي اشار اليها الكاتب الفاضل فيما له صلة بزواجه من احدى كريمات الاسرة المالكة في العراق سابقاً وريادته في كتابة القصة.

نوري السعيد

الملك فيصل الاول

الحياة العامة

ولد عطاء بن محمد امين القاضي في ١٥ كانون الاول ١٨٩٧ ببغداد وقد ذكرت بعض المصادر انه حفيد احد علماء بغداد ومن مدرسي مدرسة الامام الاعظم، وهو الشيخ حسين البشدري، بينما اكد لي الاستاذ وليد الاعظمي، مؤرخ مدينة الاعظمية ورجالها (توفي سنة ٢٠٠٣) ان امه هي ابنة الشيخ حسين البشدري ودرس في المدرسة السلطانية ببغداد، وعند الاحتلال البريطاني دخل دورة للتعليم ليعين بعدها معلماً في دار المعلمين وبعد شهور نقل معلماً في مدرسة المأمورين وهي مدرسة انشئت لتخريج الموظفين، كما انتدب للتدريس في مدرسة التجارة حتى نقل سكرتيراً لناظر المعارف سنة ١٩١٩، اضافة الى دخوله مدرسة (كلية) الحقوق والتي تخرج منها سنة ١٩٢٣،
وبعد تخرجه انخرط في السلك الخارجي لقابلياته في الترجمة والكتابة ونقلت خدماته من الديوان الملكي الذي عين فيه كاتباً عام ١٩٢١، الى وظيفة سكرتير في الممثلية العراقية في لندن ثم انقرة عام ١٩٣٠، واعيد الى لندن بعد سنتين ورقي الى درجة السكرتير الاول في المفوضية العراقية في روما عام ١٩٣٤ ولندن عام ١٩٣٥ ثم الى درجة المشاور في السفارة العراقية في لندن ثم باريس ثم قائماً بالاعمال فيها، ونقل مشاوراً للسفارة في برلين وروما قائماً بالاعمال فيها عام ١٩٣٩ ثم لندن في السنة التالية.
وفي الاول من تشرين الثاني ١٩٤٣ عين مديراً للخارجية العامة في وزارة الخارجية ثم اعيد الى الخدمة الخارجية مشاوراً وقائماً بالاعمال في انقرة عام ١٩٤٤ وباريس ١٩٤٩، وفي سنة ١٩٥٢ احيل الى التقاعد من الخدمة الخارجية، وعين مديراً لمصافي النفط الحكومية فرئيساً لمجلس ادارتها في ايلول ١٩٥٥، وعندما قامت ثورة تموز ١٩٥٨ وانتهى العهد الملكي، كان عطا امين يصطاف في تركيا فبقي خارج وطنه الى نهاية عام ١٩٦١، اذ وافقت الحكومة العراقية على عودته فترك زوجته الاميرة سارة بنت الشريف الحسين في بيروت، ولم يحصل على اذن بعودة زوجته الى بغداد باعتبارها من افراد الاسرة المالكة السابقة، فآثر الاقامة في جنيف الى ان توفاه الله يوم ٢٥ ايلول ١٩٧١ ودفن في مقبرة الاعظمية.

الدكتور عبد الاله احمد

الزواج الملكي

تذكر الوثائق ان عطا امين تزوج سنة ١٩٢٩، وله من زوجته هذه بنت هي السيدة ابتهاج عطا امين، وفي صيف عام ١٩٣٣ تزوج في تركيا ثانية من احدى شقيقات الامير زيد بن الحسين وزير العراق المفوض في انقرة وتدعى الاميرة سارة والمعروف ان الشريف الحسين بن علي، كان قد تزوج من امرأتين، الاولى عربية وتدعى عابدية وهي والدة الملوك عبد الله وعلي وفيصل، والثانية تركية هي والدة الامير زيد وسارة وفاطمة وقد تم زواج عطا امين بالاميرة سارة بموافقة الملك فيصل الاول وارسل بذلك برقية تهنئة. غير ان اعتراضات على هذا الزواج بدرت من بعض افراد الاسرة المالكة، فقد عارض الملك عبد الله والملك علي هذا الزواج، وقد لعب نوري السعيد وجعفر العسكري دوراً في ايصال التهديدات الى عطا امين وزوجته واختها المقيمة معها.

موقف نوري السعيد

لقد عين عطا امين بعد زواجه هذا بمنصب وكيل وزير الخارجية، وكان الوزير يومذاك نوري السعيد وقبل ان يلتحق بوظيفته ابلغ بان تعيينه قد الغي وانه نقل كقائم باعمال السفارة العراقية في جدة، وادرك عطا امين ان قراراً قد أتخذ ضده في بغداد وان الامر يتعلق بزواجه، فاتصل تلفونيا يوم ٢٦ ايلول ١٩٣٣ بعد ايام من وفاة الملك فيصل بنوري السعيد فأجابه هذا بان الامر خطير وذكر بمصير عبد الله الصانع الذي قتل بمكتبه في وزارة الداخلية لانه تزوج بكريمة عبد المحسن السعدون، فاعتبرت الاسرة السعدونية ذلك الزواج غير متكافئ فقام كبيرها عبد الله الفالح السعدون بقتل زوجها.

جعفر العسكري

وتضيف الوثائق البريطانية التي نعتمدها في هذه التفاصيل، ان جعفر العسكري ابلغ عطا امين ان الامير عبد الله بن الحسين اقسم بان يرسل الى لندن من يقوم بقتل عطا امين وزوجته واختها.. واتصلت وزارة الخارجية البريطانية بدائرة (سكوتلنديارد) لتوفير الحماية لهم، ويذكر تقرير بريطاني آخر في ١٦ تشرين الاول ١٩٣٣، ان جعفر العسكري قد ابلغ الحكومة البريطانية ان ترتيباً لتفريق الاثنين قد قرر، وان الامير زيد، شقيق الاميرة سارة، سيأتي الى لندن لتنفيذه ونقل الاميرتين الى تركيا، غير ان كل هذه الجهود لم تقف امام العلاقة الزوجية الوثيقة بين عطا امين والاميرة سارة فأسدل الستار على القضية كلها، غير ان محاولات صحيفة غربية حاولت اثارة القضية سنة ١٩٣٦ بعد الازمة التي حدثت جراء زواج الاميرة عزة شقيقة الملك غازي من شخص غير مسلم، وهذا ما دفع عطا امين الى ان يحتج على ما نشرته بعض الصحف البريطانية.

اديب اولاً

كتب عطا امين قبل دخوله مدرسة الحقوق عدداً من المقالات الادبية في جريدة (العرب) البغدادية سنة ١٩١٩، وفي مجلة (دار السلام) ومجلة (اللسان) سنة ١٩٢٠، وكما نشرت له جريدة (العراق) بعض المقالات وتعد اسهاماته الادبية وما ترجمه عن الفرنسية والانكليزية من المحاولات الريادية في حركة اليقظة الفكرية في العراق الحديث، وقد اصبح هذا الكاتب ضمن الطبقة (العالية) من كتّاب العراق كما جاء في مقال (حملة الاقلام في بغداد دار السلام) الذي كتبه عبد الاحد جوش في مجلته (الزنبقة) في عددها الاول في تشرين الاول ١٩٢٢،

جعفر العسكري

قصص الرؤيا

وقد ذكر مؤرخو القصة العراقية ان من المحاولات الاولى لكتابة القصة في العراق، كانت قصص الرؤيا، ويحاول كاتبها بث الاراء الوطنية والاجتماعية حول مستقبل وطنه وتقدمه من خلال حلم يراه في المنام.. ولعل السبب في توجه هؤلاء الى هذا النوع من القصة، هو خيبة الامل التي اصابتهم عقب اعلان الدستور في الدولة العثمانية من انقلاب الحكام على ما رفعوه من شعارات واهداف براقة. ولا ننسى هنا الايمان الواسع بالاحلام والاستعانة بها وبتفسيرها في حالات اليأس ففي سنة ١٩٠٩ نشرت ببغداد رواية (الرؤيا في بحث الحرية) للاديب التركي محمد نامق كمال ترجمة الشاعر الكبير معروف الرصافي فأثرت بوضوح على الحركة الفكرية في العراق فأخذ عدد من الكتاب الكتابة على منوالها كعطا امين ومحمد فائق الكيلاني ومحمد بسيم الذويب وسليمان فيضي.

رأي النقاد

ويذكر الدكتور عبد الاله احمد في كتابه القيم "نشأة القصة في العراق" عن عطا امين ورؤياه:
قدرة الكاتب على صياغة العبارة القصصية فأسلوبها رغم ما اعتمده من ايراد بعض السجعات والعبارات الانشائية الخطابية، اسلوب مرن قصصي، كما ان الكاتب وفق في نقل احاسيسه الخاصة الى القارئ وجوها تعبق بهذا الشذا الذي يتلمسه القارئ في عمل اصيل، ويحار في تعليل مأتاه، ولا يخفي الكاتب غرضه الاجتماعي من كتابة هذه الرؤيا، فقد جعل عنوانها "رؤيا صادقة" وهو عنوان لا يصلح لقصة.. وليس الكاتب ملوماً في ذلك فلم يكن بالرجل القادر على ان يمنع التعليقات التي تضعف من رؤاه، فقد كان يرمي الى غرض واضح، ويريد ان يصل اليه من اقصر طريق.. ويظهر من محاولة عطاء امين هذه، ان الرجل يدرك انه يعالج فناً جديداً غير المقالة الاجتماعية، وهو فن القصة.
ولم تقتصر محاولات عطا امين القصصية على ذلك فحسب، فقد كتب قصة (لوحة من الواح الدهر او فصل من رواية الحياة) سنة ١٩٢٠ وقصة (عاقبة الحياة)، نشرتها المجلة نفسها، وهي مجلة (دار السلام) البغدادية التي صدرت بأشراف الاب انستاس ماري الكرملي. ويذكر الدكتور عبد الاله احمد ان هاتين القصتين اول محاولة جادة في القصة العراقية، وان كاتبها هو الرائد لهذا الشكل في الادب العراقي الحديث، وكان مؤملاً له ان يرفد القصة بنتاج ذي قيمة كبيرة لو كان استمر في الكتابة ولم يهدر موهبته القصصية التي تجلت فيما كتب.

سَرّة ام ســـــــــارة؟

تقول الاميرة بديعة ابنة الملك علي وشقيقة الامير عبد الاله الوصي على عرش العراق في مذكراتها التي روتها للسيد فائق الشيخ علي وصدرت بعنوان (مذكرات وريثة العروش) وفي ص (١٠٢) ان زواجها قد تم بالسيد احسان رفعت ثم "سافرنا لنقضي شهر العسل في الاسكندرية ومن هناك استقلينا الباخرة الى فرنسا كانت عمتي سَرّة) شقية عمي الامير زيد متزوجة من (عطا امين) سفير العراق في باريس ذهبنا الى زيارتها.. الخ"
ذاكرة

قصـــــــة

كيف يرتقي العراق .. رؤيا صادقة

عطا أمين

نشرت في مجلة دار السلام العدد ١٧ في ٢٤ آب ١٩١٩

ليلة صافية الاديم لامعة الكواكب ترسل الى الكون النائم اشعة القمر، صبح الربيع وشمسه الذهبية على الفرش الزمردية في الحدائق والحقول الحان الطيور وروائح الزهور.
كنت ارنم "قصيدة الكائنات" على دجلة في نصف الليل فكانت تشاركني في الترنيم، كنت اتغنى بابياتها الجميلة فتجيبني بخرير مياهها اللطيف اسندت رأسي الى يدي ناظراً الى النهر وما وراءه من الاشجار والنخيل حتى داهمني النوم.
رأيت نفسي على ضفاف نهر يجري الهوينا حدائق الورد وبساتين النخيل وقد كان السكون سائداً والماء عذباً والنسيم عليلاً والجو صافيا والليلة مقمرة. نظرت الى خلفي فرأيت شارعاً عاماً مستقيماً يخترق الحدائق والبساتين فمشيت فيه مستضيئاً بضوء القمر حتى استدللت الى مدينة عامرة.. وصلت سورها وتقربت من احد ابوابها فقرأت كتابة بالقلم العريض معناها "هذه ملكة اسيا" فعلمت اني داخل في اشهر مدن العالم.
دخلت الباب ومررت من السور فشاهدت بالقرب منه سوراً اخر فعلمت ان للمدينة سورين وعند اجتيازي السور الثاني رأيت رجلاً وطنياً داخلاً معي فتقربت منه وسلمت عليه وسألته فقال "ان السور الذي يحيط بالمدينة مربع الشكل يبلغ طول كل ضلع منه ١٥ كيلو متراً.." دخلنا المدينة فرأينا النهر يخترقها والمسنيات المحكمة مبنية على جانبيه بالطابوق والمسنيات المحكمة مبنية على جانبيه بالطابوق، ثم اخذنا نمشي في شوارع المدينة حتى وصلنا الى جسر حجري فاردنا الاجتياز الا ان حارساً منعنا قائلاً: "لا يجوز العبور في الليل لان الحاكم نهى عن ذلك لتقل السرقات فاظهر له صاحبي انا مرسلون من قبل الحاكم لشغل مهم.
عبرنا الجسر وكان صديقي قد اشفق على غربتي فاشتاق الى اطالة الصحبة معي ووافق على ارشادي الى جميع ما تهم رؤيته من اقسام المدينة العامرة فظللنا نسير فيها وهو يصف لي البنايات العامرة والقصور الشامخة والحدائق العجيبة ورأينا حدائق معلقة تشبه الحدائق الجبلية فاستغربت وجودها وقال صاحبي "هذه حدائق معلقة بناها الملك لزوجته الماذية وكانت قد حنت الى جبال بلادها فامر بصنع تلك العجيبة ارضاء لخاطرها وتذكرت حالة نسائنا وما هن عليه من الجهل والرق والذل والبلاء.
سالت صاحبي عن هذا الملك العظيم الذي سمعت عن عظمته وشدة بأسه وحبه للتعمير والاصلاح وقد مر على قصوره وحدائقه ما يقرب القرنين دون اثار قدم فقال: "هو الملك المعظم نبوخذ نصر بن نبو بلاصر الجليل" فعلمت اني في بابل ام العجائب ثم قلت ما اسعدني الليلة لاني سازور فيها المنجم الكلداني الكبير الاستاذ بيروس (بيروسوس) كاهن الاله بل في بابل وكان عائشاً في اواسط القرن الثالث قبل الميلاد وسمعت انه ترجم كتاباً من البابلية الى اليونانية في علم النجوم والف تاريخ بلاده مستنداً على الوثائق القديمة والاثار، فقال صاحبي "الم تسمع ببرج بابل؟" قلت "نعم" قال: هو هناك فاتبعني لارشدك اليه فاني من اخص احبائه.
ودخلنا برج بابل العظيم في الطبقة الاولى منه وسالنا الواقفين عن الاستاذ فقالوا: هو في الطبقة العليا يصلي فانتظروه في الطبقة السادسة حتى يتم صلاته، وصعدنا ووصلنا الى الطبقة السادسة من الطبقات السبع ودخلنا غرفة الانتظار فسمعنا صوتاً يجهش ويبكي ورأينا حين وقفنا على شرفة المعبد رجلاً جاثياً يصلي ويذرف الدموع ويخاطب ربه بصوت رخيم وقلب كسير "الهي وسيدي لطف علي غضب قلبك وبالم نعرفك حق معرفتك ان ذنوبي كثيرة وسيئاتي عظيمة.. اتيتك راكعاً ساجداً ليس في العالم من يمد لي يد المعونة ولا من يتنازل ليسمع همي وشكواي فالتجأت الى بابك ايها الرب الرحيم" وظل يتلو ويتوسل حتى قام من مجثاه ومشى الى مقعده مترنماً بابيات من قصيدة ذهاب الزهرة الى جهنم.
دخل اليه صاحبي يطلب الاذن وما لبث ان جاءني بامر الدخول فدخلت مجلساً رحباً وقام الاستاذ مرحباً ومصافحاً وامرني بالقعود وسألني عن حالي وبلادي وصحتي فقلت له "يا سيدي، انا شاب من اهل القرن العشرين بعد المسيح ساكن في بلدة قديمة لا يخفيك اسمها اتيتك سائلاً وفي نصيحتك راغباً والى كهانتك تأئقاً فهل تتفضل باخباري عما تعرفه في كتبك القديمة واخبارك الحديثة عن مصير بلدتي العزيزة؟" فكر قليلاً ثم قام وقادني الى غرفة مظلمة وقال لي "انظر امامك والى تلك النافذة فسيمر منها "التاريخ العراقي" كما تمر الصور المتحركة في بلادك" نظرت الى النافذة حيث انيرت وظهر خلفها وادي الفراتين في قديم الزمان وعليه بعض المدن البسيطة والاقوام القديمة (ومرت التواريخ والاحقاب- من المحرر" حتى جاء دور بابل التي انا فيها كيف ارتقت وكيف بدأ انحطاطها.
ثم انقلبت الادوار التاريخية حتى رأيت اناسا يخططون مدينة على شاطئ نهر قريب من الفرات فانتظرت قليلاً فاذا هي مدورة الشكل فصرخت "سيدي هذه مدينتي مدينة المنصور قد عرفتها وانا اعلم بما فيها فهل تخبرني عن تاريخها المستقبل؟"
قادني الى غرفة اخرى واخرج قطعة من الطابوق المرتب وحسب حساباً دقيقاً وهو تارة ينظر الى الحجارة وطوراً الى السماء وقال وعلى شفتيه ابتسامة الم "مسكينة انت يا بغداد كم ذقت الاما وتجرعت سموماً وصبرت تحت المعاول والسيوف.. وحطمك الزمان تحطيم المتعصب اجمل تمثال" ارى نجمك في السماء سعيداً وحظك على الارض حسناً ومستقبلك في عالم الغيب زاهراً ستعود ايامك الزاهرة وستكونين كما تريدين وسيزول الفقر والذل والخسران وينتشر العلم والادب والعرفان وتكون بغداد لندن الثانية ولكن بشرط" وسألته عن شرطه فقال بعد ما اخذني الى غرفة في احدى الطبقات واخذ من روزنة بعض الاشياء "اسمع يا ولدي هذه علبة فيها (بذور) باركتها الالهة وهذه كأس فيها (ماء) من مياه المعابد وهذه قطعة ثوب فيها (تراب) من ردهات الهياكل وهذه (الة) تأمر الرياح بتسيير المراكب وهذا كتاب فيه علوم الاولين والاخرين خذها بيدك واهدها لاهل بلدك وقل لهم (هذا هو دواؤكم) والسلام (١)

(١) كل ما في هذه القصة من الاخبار والاوصاف والصلوات حقيقية لا دخل فيها للخيال..
مؤلف القصة